قرطاس

▪ أحمد عبد الحسين

محطّمو الأصنام

أتـتْ لنا أخبـار من كليـة العلـوم السياسـيّة في جامعة بغداد تنبئنا أن عصـر تحطيم التماثيل لأسباب دينية قد بدأ في عراقنا المؤمـن، فقبل أيام تمّ تحطيم منحوتة في حديقة هـذه الكليّة من قبل غيورين علـى الدين الحنيف أسـوة بمـا فعلتـه طالبـان أفغانسـتان حين أمـر "أمير المؤمنـين" ملا عمـر بتحطيم تماثيل "باميـان" التي هي من روائع التراث الإنسـانيّ، وتأسياً بما يقوم به بعض مجانين مصر الذين يكتفون هذه الأيام بتغطية التماثيل بقماش أبيض، بانتظار أن تقوى شكيمتهم ويستقيم لهم الأمر كاملاً ليتناولوا فؤوسهم ويحطموا أصنام ميادين القاهرة.

حكايـة تمثـال كليـة العلوم السياسـية ملخصـها ترويه طالبة هي ابنة زميل وصديق لنا، تقول إن الكلية أنشأتْ حديقـة جميلة ووضـعتْ فيها بعض التماثيل الجبسـية المشغولة وفقاً للطرز الإغريقية، تمثل شخصيات نسائية، لكنّ النساء في التماثيل . والكلام للطالبة . محتشمات كما لو أنهنّ عراقيات لا إغريقيات!

مع ذلك فإن النساء أقلقن حياء المعاون الإداريّ، رغم أنهنّ نساء من جبس، فعارض وضع التماثيل بحجة أنها معيبة وفاضحـة وعبر عن امتعاضـه أمام آخرين. وفي يوم ما أعطى هذا المعاون الإداريّ لأحد العمال فأسـاً وطلب منه أن ينال شـرف تحطيم هذا الصـنم الجاهليّ، هكذا تقول الطالبة التي أضافتْ أن أساتذة آخرين أقنعوه بأنه مقدم على فعل شـائن، والأمر لا يستحقّ، والتماثيل لا تخدش حياء ولا تسـتدعي التعامل معها بالفؤوس، وأن الناس الذين يثيرهم تمثال امرأة جبسـي ويجعلهم هائجين قد انقرضوا تماماً، ويبدو انه رضخ حينها أمام توسلهم به وعدل عن قرار تحطيمها.

لكـنْ فجـأةً أتـى الطلبـةُ ذاتَ يـوم إلى الكليّـة ووجدوا التمثالَ ملقى على الأرض قطعاً متناثرة، واليومَ صباحاً وجـدتُ في بريدي صـوراً أرسـلتْها لي الطالبـةُ للتمثال المحطم.

غريبٌ أمرنا، نستورد من الدول المتخلفة أسوأ ما أنتجتْ، وبعضـنا لا يجـد مثاله الأعلـى إلا في هـذه النفوس المنحطة التي تقف ضد الحياة والفنّ والثقافة.

العقليـة التي يباشـرها العقائديّ مسـك الفأس وتحطيم رأس تمثـال لا حول له ولا قـوّة، هـي ذات العقلية التي تدعـو عقائدياً آخر لمسـك البلوكـة وتحطيـم رأس طفلٍ يلبس ما لا يلبسه هذا العقائديّ.

القتـل واحد، لكنّ عزاءنـا أن القوى الارتكاسـيّة تكونٍ أشـرس كلمـا اقتربـتْ مـن نهايتهـا، في الجزائـر مثـلاً لم يتخلـص الجزائريـون مـن القـوى المظلمـة إلا بعـد ان اسـتذأبتْ هـذه القـوى وأخـذت تدور علـى المثقفين والفنانين بفؤوسـها وسـواطيرها، في أفغانسـتان كان مشـهد إعـدام التلفزيونـات وتحطيم الكنـوز التأريخية إيذانـاً بأفول نجم طالبان. نأمل أن قوى الارتكاس تعلن اليوم عن فشـلها، تدرك أن المسـتقبل لم يعد ملكاً لها وها هي تنتقم من الحاضـر من خـلال تتفيه الحياة ومحاربة مكامن الجمال فيه.

محطمو الأصـنام يعرفـون أن كائنات لها مظهر بشـريّ تمتصّ دمـاء النـاس وتحتكـر القـوة والسـلطة والمال هم الذين يصـدق عليهم لفظ الأصـنام، أصـنام يجب أن تتحطـم، لأنها أخطر وأقسـى من الـلات والعزى ومناة الثالثة الأخرى!

بعد المثليين .. ظاهرة الإيمو من منظور سيكولوجي

أ.د. قاسم حسين صالح

السياسة حطمت آمالهم والارهابيون يحطمون رؤوسهم!

هؤلاء الشباب يعيشون حالة إحباط واغتراب عن المجتمع، والتطرف الديني دفع بعدد منهم إلى ممارسة تطرّف سلوكي مضاد. وهذا قانون اجتماعي: التطرّف يخلق نقيضه!

يفـرز التطـور الاجتماعـي عـبر الزمـن ظواهـر سـلوكية ايجابية وأخـرى سـلبية.واللافت أن الظواهـر التـي يعدّهـا المجتمـع سـلبية تحصـل في جيل المراهقين والشـباب،وهذه حتمية اجتماعية نفسـية تقوم على مسلمة الصراع بـين ثقافـات الأجيـال. والمشـكلة ليسـت في حصـول هذه الظواهر بـل في طرائـق التعامـل معهـا .فالدول الأوروبية التي تفصل بين الدين والدولة ،وتؤمن مجتمعاتها بالحريـات الشخصـية ،تـترك الممارسـين لهذه الظواهـر لحالهم ولا تحاسبهم على تصرفاتهم التي تبدو غريبة إلا إذا أساءوا للحريات العامة،ولا تمنعهم من نشر ثقافتهم الجديـدة حتـى لـو كانت مضـادة لقيـم اجتماعيـة أو دينية.بـل أن هذه الثقافـات الجديدة اضـطرت علماء النفس والطب النفسـي إلى تغيير مفهوم (الشـذوذ الجنسي) من عدّه اضطرابا نفسيا إلى حالة عادية،إلا في الحـالات التي يلحق فيها الفرد أذى بنفسه أو بشريكه.

والمفارقة أن ما يحصل من ظواهر سـلوكية سـلبية في المجتمعـات الحضـارية،يتولى الأخصـائيون النفسـيون تشـخيص أسـبابها واقتراح معالجـات احتوائها،فيما يتـولى المسـؤولون في السـلطة (قوات الشـرطة والأمن)التصدي لهـذه الظواهـر في مجتمعاتنـا العربية.فعلى سـبيل المثال شاعت في السـبعينات ظاهـرة (المينـي جـوب - التنورات القصـيرة)بين طالبات الإعدادية، فعمدت (شرطة الآداب) في حينـه إلى صـبغ سيقانهن بـ(البوية).

فقبـل سـنتين ظهـرت مجموعـة مـن الشـباب المتميعـين الذيـن يسـتخدمون "المكيـاج" لتجميـل وجوههـم، وزرق الهرمونـات لتكبير الصـدر ، والتشبه بالنساء في تصرفاتهم من الذين يوصفون بـ(المخنثـين) أو (الجنسـيين المثليين). فقامت ميليشـيات بقتل عـدد منهـم ولصـق السـيكوتين بمقاعدهم،إنمـا بإحالتهـم إلى الأطباء والاستشـاريين النفسيين الذيـن يعرفـون كيـف يتعاملـون معهم.

والآن تأتـي ظاهـرة (الإيمـو) ويجـري التعامـل معهـم بنفـس الأسـاليب المتخلفة.فلقـد وصـف أحـد رجـال الديـن المؤثريـن في العمليـة السياسـية أن هـذه الظاهرة (آفة)بالمجتمع الإسـلامي وطالب الأجهزة المختصة بإنهائها قانونيا!.فيما ذكرت وكالة رويترز مسـاء ٢٠١٢/٣/١١ انـه تم قتـل (١٤) شـابا من الإيمو خلال شـهر شباط ٢٠١٢، وبثت قناة الشرقية لقـاءات مـع أشـخاص أكـدوا مقتل عـدد من شـباب الإيمو،فيما وصفت الحكومة هذه الأنباء بأنها (أكذوبة).

ومهمـا يكـن من أمـر فإن شـباب الإيمـو صـاروا هدفـا لنفـس المليشيات التي استهدفت (المثليين) وصـاروا ملاحقـين مـن أجهـزة بغطـاء أمني،وصـدرت بحقهـم فتـاوى بإهـدار دمهـم مـن بعض رجـال الدين،وتشـكلت تجمعـات للدفاع عنهم ،وصـار الأمـر وكأنه قضـية وطنيـة أو خطـر سـيطيح بالديـن والأخلاق!.فلنتوقـف عند (الإيمو)ونتعـرف علـى بداياتهـا التـي كانـت في أمريكا ولم تطح لا بدينها ولا بأخلاقها.

في تسـعينات القرن الماضـي ظهر في الولايـات المتحـدة مراهقـون وشباب ابتكروا تصرفات ورموزا وملابـس وإكسسـوارات خاصـة بهم،أطلقـوا علـى أنفسـهم اسـم (الإيمـو) مـن الكلمـة الانكليزيـة (Emotive) التـي تعنـي الشخصية العاطفية الحساسة.

وكانـت قـد بدأت أصـلا مـن فرق موسـيقية تـؤدي أغـاني عاطفية جذبـت المراهقين والشـباب الذين يشعرون بالضياع النفسي..وهذا هو السبب السيكولوجي الرئيس الذي يجمع هؤلاء في مجتمع قائم على التنافس والفردية والأنانية وضـعف الروابـط الأسـرية والمعايير الأخلاقية والقيم الدينية والاجتماعية.غـير أنهـم يختلفون في طريقـة تعبيرهـم عـن هـذا الضياع.فبينهم من يميل إلى المرح والفكاهـة كوسـيلة للهـروب مـن الواقع.وبينهم،وهم الأكثرية، من يميل إلى الحزن والانطواء.

ولأن أغلبهـم لا يمارسـون عمـلا منتجا ويعيشون بلا هدف حياتي يسـعون إلى تحقيقه فان الشـعور بالضـياع يتمكـن مـن بعضـهم فيصـيبهم بالاكتئاب الذي يفضـي إلى التفكير بالانتحـار أو ارتكابه كانت مدمنة على سـماع الموسيقى والأغاني العاطفيـة الحزينة.فعلا كمـا حدث لفتاة تدعـى (هنا بوند) تنتسب لفرقة (إيمو)موسيقية .

ومـع أن جماعـة الإيمـو ،لاسـيما أعضـاء الفـرق الموسـيقية ،لهـم شـكل مميز من حيث قصـة الشعر والملابـس الداكنة الضـيقة ،فإنهم يختلفـون أيضـا في التعبيـر عـن ضـياعهم النفسـي بالرمـوز أو الشـعارات التـي يكتبونهـا أو يصـورونها.فالذين يشـعرون بالحزن والأسـى ،يرسـمون على قمصـانهم أو حقائبهـم قلوبـا مفطورة.والذيـن يعيشـون حالـة اكتئـاب أو عدوانـا مكبوتا ،يرسمون على أحذيتهم الرياضية جمجمـة بشـرية وعظمتـين (شـعار القراصـنة) أو يعملونهـا إكسسـوارات يطوقـون بهـا معاصـمهم أو يلبسـونها محابس في أصابعهم.،فيما الذين يشعرون بالحاجـة إلى الحـب والحنـان والعاطفة يرسمون فراشات ملونة علـى قمصـانهم أو يكتبـون عليها أغاني عاطفية مشهورة.

ذلـك هـو السـبب السـيكولوجي الرئيس لظهور (الإيمو)..الضياع النفسي الناجم عن غياب التوجيه الأسـري وضـعف الالتزام الديني والأخلاقي في مجتمع تنافسي قائم علـى الفرديـة والأنانية..المجتمع الأمريكـي بشـكل خاص حيث لا قيود على الحرية الشخصية..فما أسـبابها في المجتمعـات العربيـة والمجتمع العراقي بشكل خاص؟.

إن الشـعور بالضـياع النفسـي عامل مشـترك بين (إيمـو) العرب والعراق و(إيمو) أمريكا وأوروبا. فنسـبة بطالة الشـباب في العراق تكاد تتصـدر مثيلاتها في المنطقة. زد علـى ذلـك أن شـباب العـراق كانـوا يمنـون أنفسـهم بأحـلام جميلـة مشـروعة كـون أن بلدهم هـو الأغنى في العـالم وحكومتهم تعدّ الأفضـل في المنطقـة كونهـا منبثقة من برلمان منتخب في نظام ديمقراطي..فـإذا بهـم يصـابون بالخيبـات والانكسارات..وصـار حاملـو الشـهادات الجامعيـة يخرجـون صباحا إلى الشـوارع ليندسـوا بين عمال المسـطر بحثا عـن (بيـك آب)تأخـذ المحظـوظ منهم ذاك اليوم ليحمل على أكتافه الطابـوق ويعـود بمـا يكفيه قوت يومه..فيمـا البائـس منهـم يعود خائبـا أو يتطاير جسـمه أشـلاءً بعبوة أو حزام ناسف.

والسـبب الآخـر ، هـو شـعورهم بانعـدام العدالـة الاجتماعيـة إذ وجـدوا أن نظامهـم الـذي كانـوا يتوقعون انه سينصـفهم، قد أفرز طبقـة اجتماعيـة من المحسـوبين على السـلطة أثرت بشـكل فاحش فيما اغلبهم عاطل عن العمل.

ومع أن هؤلاء الشـباب يعيشـون حالة إحباط واغتراب عن المجتمع فـإن التطـرف الديـني دفـع بعـدد منهم إلى ممارسـة تطرف سلوكي مضاد..وهذا قانون اجتماعي..إن التطرف يخلق نقيضه.

ولأن الواقع ما عـاد يحتويهم،ولا يقـدم لهـم حـلا لمشـاكلهم،ولا ينتشـلهم مـن حالة الضـياع التي يعيشـونها ،فـان الانفتـاح علـى وسائل الاتصال، لاسيما الانترنت وشـبكات الاتصـال الاجتماعـي العالمية، وجد فيها بعضـهم وسيلة للهروب وحالة من التوحد بآخرين يمنحهـم الشـعور بوجودهـم الإنساني على مستوى العالم.

واللافت أن هذه الظاهرة قد بولغ في حجمهـا ومخاطرها على قيمنا الإسـلامية والعربية،لدرجـة أن تناخـى عدد مـن رجـال الدين إلى حمل (السيف)الذي ما حملوه على من نهـب المليـارات ،وما شـهروه بوجـه مسـؤول أوصلـه الفقـراء إلى كرسي السلطة فأثرى وتركهم يـزدادون فقـرا وبؤسـا .فظاهرة كهذه ليست مخيفة لدرجة تستدعي شـحذ همـم الأجهـزة الأمنيـة والميليشـيات للقضـاء عليها، لأن أعدادهـا لا تصـل المئات،وليست بقوة عاصـفة تطيح بقيم صـارت ثوابـت عندنا مـن آلاف السـنين. وأن شـبابها ليسـوا مدججـين بالسلاح ولا بأحزمة ناسفة،بل هم مسالمون وحساسـون ولا يؤذون أحـداً. وعليه فان على المسـؤولين منع أية جهة تستهدفهم ، والتعامل مع شـباب هذه الظاهرة بأسـلوب علمي تربوي ،والاستئناس بآراء الأخصائيين النفسيين من الذين لا علاقة لهم بالسياسة، واحتواء هذه الظاهرة بشكل هادئ والابتعاد عن تضـخيمها إعلاميـا ،راجين علماء الديـن الأفاضـل تهدئـة النفوس ونصح أولئك الذين يهولون الأمر أو يحرّضون على قتلهم ،بوصفهم طائفة من عبدة الشيطان..فيما هم ضائعون نفسـيا وعلينا انتشالهم مـن ضـياع..الدولة أحـد أهـم أسبابه!

رئيس الجمعية النفسية العراقية

مـصـر... كـمـا كـتـبـهـا جـلال عـامـر

ماجد موجد

أعترف بأنني لم أجتهد في معرفة الحياة المصرية من خلال دراسات معمقة لأكون تصوراً يجيز لي فهمها كما ينبغي وفق دراسات سوسيولوجية ،لكن وفي مصادفات عابرة وقعت في يدي بعض المقالات المتخصصة في هذا الشأن.. غير أنني قرأت مصر وكوّنت فهما خاصاً من خلال تعايشي ومتابعتي إحدى صحفها يوميا على مدى أكثر من عامين... كل منهما كان مختلفا تماما عن الآخر.. عام قضيته مع وضع عاش المصريون ثلاثين عاما مثله.. وعام عشت فيه واقعا مصريا بمتغيرات وظروف ومشكلات ربما كانت غريبة حتى على أغلب المصريين الذين لا يريدون أو بشكل أدق يصعب عليهم تصديقها وأعني منذ اندلاع ثورة ٢٥ يناير وتحقيق هدفها الأهم وهو دفع رئيسها إلى التنحي ..مرورا بكل التبعات الشائكة بحلوها ومرها.

الأيـام الأولى التـي دخلت فيها مصـر وبعيـدا عـن تصـوري في مـا يخص تمتعهـا بالقـدرة علـى إعطـاء أي غريب مسـاحة واسـعة مـن الاطمئنان والإحساس بإن تعبير (مصر أم الدنيا) ليس مجازا.. أحسسـت بحجم الحرية التـي تتاخـم بطرف قريب مـن حريات الـدول الديمقراطية علـى الرغم من أن المصـريين يرونهـا حرية شـكلية وغير حقيقيـة وغـير كافيـة وغـير منصفـة، لكني أتحدث بوصـفي عراقيا عاش في زمـن نظام حكم جرى التصـور عنه أن حالـه مثل حـال كل الأنظمة الشـمولية العربية آنذاك.. وتلـك رؤية تعمم على غير هـدى، ذلك أن نظام صـدام مثلا لا يمكـن مقارنتـه حتـى سـقوطه بنظـام مبـارك علـى الرغـم مـن كل مسـاوئ مبـارك التي بانت وفاضـت وزاحت ما دونهـا.. وأعنـي في ما يخـص هامش الحريـة تحديـدا وان كان غير معترف بـه. تلـك الفكـرة لم تفعّلهـا مشـاهد التظاهـرات التي تقام هنا وهناك ضـد النظـام وحكمه ولا حتى الاعتصـامات ذات المطالـب الفئوية التي (يتجرأ) بها مهنيون أمام مؤسسـات حكومية مهمة مثل مبنـى مجلس الـوزراء أو مجلس الشـعب ولا في الحركات التي تأسست ضـد نظام مبارك وفي عهده ومنها على سـبيل المثال (حركة كفاية) ولا حتى في تصـريحات الأصـدقاء المدافة بشـتائم لمبارك الذين كانت تجمعني بهم لقاءات في أماكن عامة لأن كل ذلك ربما يقال فيه ما يقال، لكن ما عمّق أمر وجود متنفس حرية هو الإعلام وأعني تحديدا جريدة المصـري اليوم التي ظللت مواظبا على اقتنائها بشكل يومي .

ثمـة مقـالات كثـيرة قرأتهـا وتابعـت كتّابهـا في جريـدة المصـري اليـوم لأهميتهـم وجسـارتهم لكـن ما شـدني أكـثر أو ما جعلني أشـعر بـأن مقالاته هي الصـورة الأكـثر وضـوحا لمعرفة المصـريين هـي مقـالات الكاتب(جلال عامـر) الـذي تـوفي مؤخـرا (بسـبب مصـر) فهـو كاتب لا تتلمس في مقاله التهيئة في اختيار ما يجمل عباراته أو مـا يبرر قوله وهو لا يهـدف إلى إعلاء شـأن نظام مصـر آنذاك أو الحط منه، ولا يريـد أن ينال مدحا جزاء شـجاعة قـول يقوله وإنما هو يكتب مصـر كما هـي.. يكتب شـعبها أفـرادا وجماعات وحكومتهـا ونظامهـا أفـرادا وجماعة أيضـا، يكتـب ثقافـة عامـة وتقاليـد وأخلاقا وهمـوما وحاجات وسخريات وأفراحـا وأحزانـا وكسـران خواطـر وتأففا وعشـقا ومهنـا وقوانين.. بلغة يتداخل فيهـا الفصـيح والعامي وهي لغـة تمتاح من تاريخ مصـر كله قديمه وحديثـه، مصـر الفرعونيـة ومصـر الفاطميـة ومصـر العثمانيـة ومصـر الثـورات والانتصـارات والخيبـات، مـن مقـالات جـلال عامـر ممكـن أن تتعـرف علـى الحـواري منـزلا منـزلا وتشـم رائحة القدور التـي في مطابخ الجيـاع ويتلطـف عليـك بمزحـة عـن موائـد الميسـورين، تعـرف تغنـج النسـاء الباذخ ووفاءهن حـد الانهيار كما تسـمع ضـحكهن وعويلهن وهياج وقاحتهـن الـذي لا يجـارى. ينقـل لك عـن الناس حتـى تـدرك أن للـه مهدا مشـعا في بطـين كل قلـب مصـري ويدير بصـرك إلى عشـش الشـياطين في البطـين الآخر، تعرف كم أن شـعب مصـر شـعب فئات مختلفة ومتلاصقة مـع بعضـها، تتحـرى في معـاني مـا يكتبـه لتكتشـف أن كل معنـى وقيمـة أخلاقيـة لهـا أناسـها المتطرفـون، ثمة تطرف في الكرم وتطرف في السخرية وتطـرف في الشـجاعة وتطـرف في الغلـب وتطـرف في الوفـاء وتطـرف في المكـر وآخر بالوشـاية ومثله بالذم والمدح وتطـرف في الانتقام وآخر في التسامح والعفو..الخ .

كل هـذا يكتبـه جـلال عامـر في مقـال قصـير.. انـه يلبـس الجملـة بأخـرى والموضـوع بغـيره حتـى انـه يعطيك الكثـير من الأفكار مكثفـة ومكتملة في الوقـت ذاتـه خـلال كلمـات لا تتجاوز في أحايـين كثـيرة الأربعمئـة كلمـة، كأن جـلال عامر حتى في طريقة كتابته المتفـردة يبعث برسـالة .وهـو الذي لا يريـد ذلك.أن مصـر هكـذا.. بلد زاخر بـكل شـيء فـلا توجـد فكـرة بعينهـا تعميـم على شـعبها، لا يمكـن لأحد أن يكتشف أسرار مصر لا في ماضيها ولا في حاضـرها.. مصـر هكـذا مجموعة كبيرة من الأفكار والأخلاق والغايات والتصـورات مدحوسـة في الأربـع والعشرين سـاعة من اليوم. هذه المدة القصـيرة مـن زمنهـا تجـد فيـه زمنها الطويـل والعريـض والكثـير والكبير والواسع..الخ

خـرج جلال عامـر إلى رؤية مصـر من نافـذة شـقته قبل شـهر تقريبـا.. آخر ما قاله: (المصـريين بيموتـوا ببعض) ومـات.. لكـن مصـر بقيـت تمضـي.. في طريقهـا تغيير كتابة دسـتور وفي طريقهـا اختيـار رئيـس لكـن لا أحـد يعرف طريقها إلى أين!

صناعة تأريخ جديد

يخافونكم

أحمد حسين

اعتدنا نحن العراقيين منذ عقود على الخوف من السـلطة، خوف تجذّر فينا بسـبب الوحشـية المفرطة التي اسـتخدمتها الأنظمـة القمعية، بدأ من أول انقلاب عسـكري في تاريـخ الدولة العراقية الحديثة في العام ١٩٣٦ الذي قاده بكر صـدقي المعروف بقسـوته ووحشيته لما نفّذه من مجازر دموية قبل أن ينفذ انقلابه المشـؤوم، ومنها مجزرة سـميل ضـد الآشـوريين عام ١٩٣٣، ثم ضـد انتفاضـة العشـائر في منطقة الفرات الأوسـط عام ١٩٣٥، ثم ضـد انتفاضـة البارزانيين في الشـمال، صدقي هو أول مـن حـوّل الجيش من قـوة وطنية لحماية العـراق إلى أداة قمعيـة تفتك بالأمة العراقية.

ومـرورا بالانقلاب العسـكري لعبد الكريم قاسـم عام ١٩٥٨، وما تـلاه من الانقلاب البعثـي الأول في شـباط الأسـود عام ١٩٦٣، ومن ثـم الانقلاب البعثـي الثاني عام ١٩٦٨، هـذه الانقلابـات وما جرّته مـن ويلات ومآس على العـراق والعراقيين، وما شهدته حقبها من مجازر مروعة وصادمة تتخاذل أمام وصفها صفة الوحشية هي ما زرع بذرة الخوف في نفوس العراقيين، إنه خوف التسليم لا خوف الجبن، إذ لا قدرة للمواطنين البسطاء الذين لا تتعدى أسلحتهم المسدس وفي أحسن الأحوال البندقية على مواجهة ترسانات عسكرية برية وجوية قادرة على سحق جيش مدرب.

الوحشـية المفرطـة والمبالغـة في تجييـش أعداد كبيرة مـن مرتزقة الأنظمـة المبادة لمواجهة مجاميع متفرقة من العراقيين تكشف عن حجم الرعب الذي كانت تعانيه تلك الأنظمة من انتفاضـات العراقيين، أن تكون شـجاعا في مواجهة عدوك أو معارضك فذلـك لا يسـتدعي تجييـش الجيوش بـل المواجهة بالمثـل، لكن حين تجنّـد كل قواك لخوض المواجهة مع مدنيين عزل أو مسـلحين يمكن حصـر أعدادهم في خانة المئات فإن ذلك يفضح مدى جبنك وخوفك المفرط من هكذا مواجهة.

في عهدنـا الحـالي، يتكرر الأمر، ثمة خـوف ما زالت جذوره غير مجتثة من صـدور العراقيين، وفي المقابل خوف أكبر وأوسـع يقضّ مضـاجع النظام الحاكم، وبالرغم من تطور خزانة الأسلحة الشعبية إلا أنها ما زالت لا تقارن بترسانة الجيش العراقي، ومـن المفترض أن يبث هـذا الطمأنينة في نفوس حكامنا وقادتنا لكـن العكس هو الواقع، إنهم يخشـون الأمة العراقية، يرتعبون من انتفاضـة قد تكنسـهم كما تكنس الريح الأرض، ترتعد فرائصـهم من تسـونامي عراقي كتسـونامي عام ١٩٩١، وهم يعرفـون جيـدا أن مثل هكذا تسـونامي لطالما يغلـب عليه لون الـدم وترافقه أمواج كاسحة لا تصمد أمامها الكراسي.

المؤسف في الأمر أن العراقيين وبسبب الخوف المتوارث لم يتلفت معظمهم إلى هذه المفارقـة، مفارقة الخوف منهم، معادلة رعب السـلطة المتسـلطة عليهـم، قبل أن يحل الموعد السـنوي الأول لتظاهرات ٢٥ شـباط اسـتنفرت الحكومة أجهزتها وماكنتها الإعلاميـة لتخويف العراقيين مـن محاولة إحياء تلك التظاهرات مرة أخرى أو حتى الاحتفاء بها، وهو ما يفضـح الفزع الذي تعيشـه الحكومة والبرلمان على حد سواء، فكلاهمـا يمثّـلان وجهاً واحداً لعملة وجهها الآخر لا تشـرق عليه الشـمس خوفاً من افتضاحه.